La Revue Marocaine de Psychologie
المجـــلة المـــغربية لعـــلم النفس

الهجرة الدولية النسائية بإقليم قلعة السراغنة بالمغرب: معطيات أولية لرصد الظاهرة

مونيا حيدة

باحثة في سلك الدكتوراه تخصص السوسيولوجيا

جامعة القاضي عياض – مراكش

تحت اشراف الأستاذ محمد عبد الخلقي

نشر بالمجلة المغربية لعلم النفس بتاريخ: 2025/02/16

ملخص

يناقش هذا المقال قضية الهجرة الدولية من حيث موضوع التحولات التي عرفتها، خاصة التحول البارز من هجرة ذكورية في بدايتها إلى هجرة نسائية في السنوات الأخيرة. ولعل الغاية التي يصبو إليها هذا المقال تتمثل في رصد بعض ملامح التحول القيمي في بلدان جنوب البحر الأبيض المتوسط المصدرة للهجرة والتي بموجبها تحررت المرأة من قيود المجتمع ليصبح بإمكانها السفر والهجرة على غرار الرجل الذي هاجر منذ عقود.

وتجدر الإشارة إلى أن إقليم قلعة السراغنة بالمغرب يمثل المجال الذي يشمله هذا المقال بتحليل سوسيولوجي للمعطيات، لأن هذه المنطقة تعرف منذ سنوات ارتفاعا كبيرا في وثيرة الهجرة الدولية النسائية. وهكذا، يحاول هذا المقال فهم وتفسير دلالات التحول القيمي الذي عجل بالهجرة النسائية، وذلك من خلال التركيز على التمثلات والاستراتيجيات لدى عينة من النساء المهاجرات التي تنتمي للمجال المدروس.

المفاهيم المهيكلة

الهجرة - الهجرة الدولية - الهجرة النسائية - التمثلات الاجتماعية - التحولات القيمية

مقدمة

تعد ظاهرة الهجرة من أقدم الظواهر الإنسانية، إذ تعتبر من المواضيع القديمة قدم الإنسان نفسه على كوكب الأرض. فالكائن البشري كان وما زال يتميز بالرغبة في الترحال والهجرة بحثا عن مكان أو موطن آخر يتوافق مع متطلباته وتطلعاته. ولم تكن الهجرة تلفت النظر أو تثير ردود أفعال إلا بعد تبني نموذج الدولة الحديثة؛ حيث "رسمت الحدود وظهر مفهوم القومية والوطنية، فخضعت هذه الظاهرة للتقنين بما يخدم مصالح الدول ولا يؤثر على الحياة العادية والطبيعية لمواطنيها"[1].

فقد انتقل عدد المهاجرين بما فيهم المهاجرات على الصعيد الدولي وفقا لإحصائيات منظمة الأمم المتحدة من 173 مليونا في عام 2000 الى 220 مليونا في عام 2010، ثم 258 مليونا في سنة 2017 ". وقد شكلت نسبة النساء ما يعادل 48 في المئة من مجموع المهاجرين في سنة 2017، كما ارتفعت نسبة المهاجرات في افريقيا من 46,9 في المئة في عام 2000 الى 47,1 في المئة في سنة 2017، على نحو ما تبين ذلك أرقام تقرير الأمم المتحدة لعام 2017 " [2].

تُعد ظاهرة الهجرة من أقدم وأعمق الظواهر الإنسانية، إذ تمثل جزءًا أساسيًا من تاريخ تطور الإنسان على كوكب الأرض. منذ فجر وجوده، كان الإنسان يحركه دافع طبيعي نحو الترحال والانتقال إلى بيئات جديدة، سعيًا وراء شروط أفضل للحياة أو الهروب من التحديات القاسية. وعلى الرغم من أن هذه الظاهرة كانت جزءًا من تجربة الإنسان منذ العصور القديمة، إلا أن تداعياتها وتفاعلاتها لم تأخذ أبعادًا أوسع إلا مع صعود الدولة الحديثة، حيث بدأت المفاهيم الجديدة مثل الحدود الوطنية، القومية، والهوية الوطنية تأخذ شكلًا أكثر تشددًا، مما دفع الدول إلى تنظيم الهجرة بشكل قانوني ومؤسساتي يضمن مصالحها ويحد من آثارها السلبية على الحياة الاجتماعية لمواطنيها.

على الرغم من ذلك، فإن هذا التنظيم لم يُضعف من قوة الظاهرة أو تأثيرها على المستوى الاجتماعي والاقتصادي، بل على العكس، فقد شهدت الهجرة الدولية تحولات جوهرية في العقدين الأخيرين. وفقًا لتقرير منظمة الأمم المتحدة، ارتفع عدد المهاجرين الدوليين بشكل مذهل من 173 مليونًا في عام 2000 إلى 220 مليونًا في عام 2010، ليصل إلى 258 مليونًا في عام 2017. هذا الارتفاع الكبير يعكس التحولات العميقة

[1] مجموعة من الباحثين: تحرير محمد غربي، سفيان فواكه، مشري مرسي، الهجرة غير الشرعية في منطقة البحر الابيض المتوسط، المخاطر واستراتيجية المواجهة، 2014، ص.9.

[2] - نفس المرجع السابق

في الأنماط السكانية العالمية، ويُبرز ظاهرة جديدة وهي التحول الذي شهدته الهجرة من مجرد تدفق اقتصادي إلى فعل اجتماعي معقد يساهم في إعادة تشكيل النسيج الاجتماعي والاقتصادي للعالم.

في قلب هذا التحول، تكمن ظاهرة تأنيث الهجرة، التي أصبحت عنصرًا حيويًا في الديناميات العالمية. في عام 2017، شكلت النساء 48% من إجمالي المهاجرين، ما يعكس تزايدًا لافتًا في مشاركة المرأة في هذه الظاهرة، وهو مؤشر على تغييرات جذرية في أدوار المرأة على المستوى العالمي. على الصعيد الإفريقي، ارتفعت نسبة المهاجرات من 46.9% في عام 2000 إلى 47.1% في عام 2017، مما يدل على دورهن المتنامي في هذه الظاهرة. هذه الإحصائيات لا تُظهر فقط زيادة في عدد النساء المهاجرات، بل تعكس تحولات عميقة في هوية المرأة الاجتماعية، ودورها في الاقتصاد العالمي، وأثر ذلك على المجتمعات المحلية.

الهجرة النسائية لم تعد مجرد مسعى اقتصادي لتحسين الظروف المعيشية، بل أصبحت أداة لإعادة تشكيل الهويات الاجتماعية والثقافية. المرأة المهاجرة اليوم لم تعد تلك الكائنات التي تهاجر بحثًا عن الأمان أو للهرب من ظروف قاسية فقط، بل أصبحت تُسهم في تشكيل الأنساق الاقتصادية من خلال التحويلات المالية التي تدعم عائلاتها والمجتمعات المحلية. أضحى هذا الفعل الاجتماعي يشكل حجر الزاوية لاقتصاديات جديدة تتسم بالمرونة والشمولية. إن الهجرة النسائية، في هذا السياق، تُمثل قوة دافعة للتحولات الاجتماعية والاقتصادية، حيث تتداخل الأبعاد الشخصية والجماعية لإعادة تشكيل مجتمعات كاملة، وخلق فرص جديدة في ظل عالم معولم ومتغير.

إن تحليل هذا الاتجاه العالمي من منظور سوسيولوجي يعكس كيفية تحول الهجرة من مجرد ظاهرة عابرة إلى عملية معقدة تساهم في إعادة هيكلة المجتمعات وتغيير القيم التقليدية التي كانت تحصر النساء في أدوار معينة. اليوم، تُمثل الهجرة النسائية فعلًا تحوليًا يعكس تصاعدًا في قدرة المرأة على التأثير في مجتمعاتها وأسرها، بل وعلى مستوى الاقتصاد العالمي ككل.

- **تحديد الإشكالية:**

إذا كان المجتمع المعاصر يتميز بالتركيب ومرونة أدوار المشاركين فيه، فإن إعادة تشكيل الفرد لذاته بشكل دائم، باختيار المسار الذي يجعله ينتزع الاعتراف، سواء من المحيط الداخلي المتمثل في الأسرة أو من العالم الخارجي المتمثل في المجتمع مما يدفعه إلى البحث عن الوسيلة والطريقة التي يحقق بها المبتغى. والهجرة كظاهرة شمولية، من بين المسارات التي يطمح لها الفرد سواء الذكر أو الانثى، خاصة وأن التمثل السائد حول الضفة الأخرى غالبا ما يكون إيجابيا بامتياز، مما يجعل الهجرة الدولية نحو الخارج، من أهم الظواهر التي عرفها المجال والمجتمع.

إن المجتمع المغربي ليس استثناءً بالنسبة لهذه الظاهرة، غير أن ما أصبح يعرف بالهجرة النسائية يعتبر من أهم القضايا التي تحيل على التحولات الاجتماعية والقيمية. وهو ما يعني عدم إغفال ما تساهم به هذه الهجرة، من تغيرات جذرية عبر ادخال انشطة وخدمات جديدة وكذا الإسهام في تغيير أنماط العيش والثقافة والتحولات القيمية داخل المجتمع الأصلي.

ويعرف إقليم قلعة السراغنة بالمغرب ارتفاعا كبيرا في وتيرة الهجرة الدولية النسائية، هذه الأخيرة التي تعد من أبرز الظواهر الاجتماعية التي تعتمد عليها نساء هذا الإقليم كاستراتيجية لتحقيق التطلعات نحو العيش الكريم، حيث يظهر تفاعل وتداخل مداخيل الهجرة مع مختلف ميكانزيمات التنمية الاجتماعية والاقتصادية. والتي لها دور كبير في محاربة الهشاشة وتغيير الأوضاع الفردية والاجتماعية للمرأة بالمنطقة، وذلك من خلال إنشاء عدد من المشاريع الاقتصادية الفردية. وهو ما قد يؤكد العلاقة المتينة بين الهجرة الدولية النسائية وتغيير الوضع الاجتماعي للمرأة المهاجرة بهذه المنطقة وما يترتب عن ذلك من تمثلات وتصورات اجتماعية حول المرأة كفاعل اقتصادي في التنمية.

وتعد الهجرة النسائية جزء لا يتجزأ من الهجرة الدولية ككل، ذلك أن هجرة النساء للعمل ليست بالضرورة بحجم هجرة الرجال، لكنها تبقى ظاهرة جد مهمة ولا يستهان بها، وهذا ما أشار إليه التقرير الصادر عن لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا الإسكوا مفاده "أن نسبة الإناث بلغت 42,7 في المئة من مجموع المهاجرين من المنطقة العربية لعام 2013، وأبرز التقرير أن المغرب شهد عدد مهم من المهاجرات بلغ 1.291,184 مهاجرة" [3].

لقد أسهمت الهجرة الدولية النسائية بوسائل متنوعة في إحداث تحولات مجالية بمناطق الانطلاق عبر مجموعة من الطرق والوسائل، وخاصة التحويلات المالية واقتناء الأراضي وبناء الدور السكنية والاستثمار في الانشطة الاقتصادية. وأصبحت هجرة النساء في السنوات العشرين الأخيرة، قضية من قضايا الهجرة الدولية، اذ تم "تسليط الضوء على النوع الاجتماعي وتنوع تجارب الهجرة لدى النساء المهاجرات" [4]، حسب الفئة العمرية وسنة الهجرة بالإضافة إلى مجموعة من المتغيرات الكمية والكيفية الأخرى. وخاصة اللواتي يهاجرن في اتجاه اسبانيا وإيطاليا من كل المناطق المغربية، هذه الظاهرة التي صارت تتزايد نظرا لمجموعة من الاعتبارات والرهانات.

---

[3] . نفس المرجع

[4]- Janine Dahinden, Magdalena Rosende, Natalie Benelli, Magaly Hanselmann, Karine Lempen, MIGRATIONS : GENRE ET FRONTIÈRES – FRONTIÈRES DE GENRE. *CAIRN.INFO*. Belin. 2007/1 Vol. 26 | pages 4 à 14.

علاوة على ذلك، وعلى غرار باقي المدن والأقاليم بالمغرب التي انخرطت في الهجرة الدولية عامة والنسائية على وجه التحديد، يعيش إقليم قلعة السراغنة على إيقاع دينامية الهجرة الدولية النسائية. فهو من بين الاقاليم التي تعرف نسبة مهمة جدا في صفوف المهاجرات بالخارج وخاصة نحو إيطاليا واسبانيا؛ بدءا من ستينيات القرن الماضي مع ارتفاع في عددهن خلال التسعينيات.، فهذه الظاهرة التي كانت تاريخيا هجرة ذكورية بإقليم قلعة السراغنة وكانت "المرأة تعاني الأمرين من جراء هجرة زوجها الى أوروبا وتركها مع الأصهار خاصة داخل الأسرة الممتدة حيث الغياب المستمر للزوج مما يخلف لدى المرأة مشاكل عدة، وذلك على جميع المستويات وخاصة على المستوى النفسي وعلى مستوى العلاقات بين الأصهار" [5]، مما يجعل غالبية الأزواج ... التسريع في جمع شمل الأسرة والذي سمح للمرأة كزوجة بالهجرة في إطار الالتحاق بزوجها المهاجر سواء بمفردها أو بمعية أبنائها. "[6]

وبناء على كل ما تقدم، يمكننا طرح مجموعة من التساؤلات التي تذهب في اتجاه دراسة الهجرة الدولية النسائية بإقليم قلعة السراغنة من قبيل:

- ما هو أثر الهجرة الدولية للمرأة وتجلياتها على المستوى الفردي والأسري؟

-كيف تحولت المرأة المهاجرة بقلعة السراغنة بفعل الهجرة الفردية من وضعية التابعة للذكر إلى وضعية الفاعلة المستقلة؟

هذه التساؤلات تخفي تساؤلات أخرى كتلك التي تحيل على التمثلات الاجتماعية حول المرأة السرغينية المهاجرة سواء تلك التي تحملها على ذاتها أو تلك التي ينسجها بخصوصها المحيط الاجتماعي، خاصة أن الهجرة الدولية لم تعد حكرا على الرجل في مجتمع تحكمه القيم الذكورية في بناء العلاقات الاجتماعية بين الرجل والمرأة.

كل التساؤلات الآنفة الذكر تستدعي، أولا، عملية تحديد المفاهيم الأساسية المرتبطة بموضوع هذا المقال. ذلك أن التحديد الاجرائي لهذه المفاهيم سيجعلنا في منأى عن الخلط بينها وحتى يمكن معالجة الموضوع بالصرامة العلمية المطلوبة. فما المقصود إذن، بالهجرة والهجرة الدولية النسائية على وجه الخصوص؟ وما هي التمثلات الاجتماعية؟ وماهي التحولات القيمية؟

---

[5]- Bouammali Noureddine, FAMILLES DES ÉMIGRÉS RESTÉES À OUJDA, Centre d'Information et d'Etudes sur les Migrations Internationales « Migrations Société » CAIRN.INFO, Belin2009/1 N° 121, pages 13 à 30.

[6] - Andrea Rea, Sociologie de l'immigration, La découverte, Paris, 2003, 2008, 2021. P .20

-التحديدات المفاهيمية

- مفهوم الهجرة:

ورد في لسان العرب لابن منظور في مادة "هجر" أن الهجرة ضد الوصل، حيث يُعتبر المهاجر فاعل الفعل ويقال عنه "هاجر من مكان كذا أو عنه"، أي تركه وخرج منه إلى غيره، ويُفهم هذا بمعنى الخروج من أرض إلى أرض أخرى. فعلى سبيل المثال، يُقال "هاجر الرجل" عندما يقوم بذلك، وكذلك كل مخل لمسكنه ومنتقل إلى قوم آخر بسكناه فقد هاجر قومه، فكل من فارق بلده وسكن بلدا آخر فهو مهاجرا"[7]، وقال الأزهري: أصل الهجرة عند العرب يعوم الى خروج البدوي من باديته إلى المدن، كما تعرف الهجرة كذلك على أنها" الانتقال إلى بلد أجنبي من أجل العيش والاستقرار فيه"[8].

ويعتبر مفهوم الهجرة في الاصطلاح مغادرة الشخص إقليم دولته أو الدولة المقيم فيها إلى إقليم دولة أخرى بنية الإقامة في هذه الدولة الأخيرة بصفة دائمة. والهجرة بالمعنى العام حسب معجم صليبة الفلسفي: هي " الخروج من وطن إلى آخر أو الانتقال من مكان إلى آخر سعيا وراء الرزق. والهجرة بالمعنى الخاص هي ترك الوطن"[9]. أما حسب معجم لاروس فالمقصود بالهجرة " خروج من أرض إلى أخرى سعيا وراء الرزق"[10]. ويتم تقسيم الهجرة بشكل رئيسي إلى نوعين:

الهجرة الطبيعية السليمة والهجرة المدفوعة، حيث يكون هناك عنصران مهمان لنجاح الهجرة الطبيعية وغير الطبيعية، وهما "عنصر الطرد وعنصر الجذب"[11]. يجب أن تكون هناك دوافع حقيقية للهجرة، مثل الكوارث الطبيعية أو الجوع أو عدم الاستقرار السياسي أو الفقر الاقتصادي، وهذه العوامل تدفع الفرد أو المجموعة إلى الهجرة.

ويمكن تقسيم الهجرة إلى ثلاثة أقسام أساسية [12]:الهجرة كظاهرة عامة أو Migration، وتشير هذه الكلمة إلى تغيير مكان الإقامة بصفة نهائية من أجل العيش في بلد آخر.، ويتغير الوضع القانوني في "الدولة الجديدة" [13]، والهجرة النازحة أو الهجرة إلى الخارج Emigration. وتعني "حركة السكان انطلاقًا من بلد الإقامة الأصلي"[14]. وأخيرا الهجرة الوافدة، أي " Immigration، هذا النوع من الهجرة منظورا إليها في بلد

---

[7] - ابن منظور أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، المجلد الثالث، بيروت، الطبعة الأولى ،1976 ، ص:771.

[8] - الموسوعة العربية العالمية، مجلد 26، مؤسسة الموسوعة، الطبعة الأولى، الرياض، 1996، ص73.

[9]- قاموس صليبة الفلسفي، الجزء الثاني، ص 518.

[10] - المعجم العربي لاروس، الطبعة الأولى، مكتبة أنطوان، بيروت، 1987، ص 1243.

[11] - خلف التميمي عبد المالك، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي – دراسة تاريخية مقارنة، الكويت، عالم المعرفة،1983ص 9

[12] - المالكي عبد الرحمان، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة، الدار البيضاء، افريقيا، الشرق، المغرب، 2016، ص 112

[13] - Pascale Boniface, atlas des relations internationales, hâtier, Paris, 2005, p 48.

[14] - Dictionnaire Hachette Encyclopédie, 2004, Hachette ,p: 1218.1219.

الوصول مجتمعا ومجالا وقد استعمل المفهوم لهذا المعنى لأول مرة من طرف الديموغرافي " Bertillon Alphonse" سنة 1878 "[15]

- **مفهوم الهجرة الدولية:**

إن الهجرة الدولية هي بالضرورة الانتقال من "البلد الأم إلى بلد آخر من أجل الإقامة فيه بشكل مؤقت أو دائم. وتكون الهجرة بشكل منفرد أو مع مجموعة من الأشخاص يغادرون موطنهم الأصلي إلى وطن جديد يختارونه لأسباب قد تكون سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو أمنية"[16]. غير أن الهجرة الدولية ليست فقط انتقال جغرافي من بلد إلى آخر ولكنها، كذلك، انتقال ثقافي حيث يعيش المهاجر مشاكل ثقافية عديدة مرتبطة بالاندماج في ثقافة مجتمع الاستقبال، وما ينتج عنه من قضايا كالمثاقفة والهوية الثقافية وغيرها من الإشكالات المقترنة بالاختلاف الثقافي بين المجتمعات المستقبلة للهجرة والمهاجرين.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن الهجرة الدولية تؤدي، بصيغة أو أخرى، إلى شكل من أشكال تغير المكانة الاجتماعية للمهاجر، سواء في مجتمعه الأصلي أو في المجتمع المضيف، خاصة إذا أدت هذه الهجرة إمكانيات تحقيق وإشباع حاجاته وطموحاته. وبهذا الصدد لابد من الإشارة إلى أن الهجرة من منظور سوسيولوجي تعتبر بمثابة تغيير " الحالة الاجتماعية كتغيير الحرفة أو الطبقة الاجتماعية وغيرها. (...) فقد ينتقل الفرد من طبقة فقيرة إلى طبقة أخرى غنية وأكثر ثراء أو في ظروف اجتماعية معينة قد يتقلص الدور الاجتماعي للطبقة المتوسطة مثلا أو يتلاشى دورها"[17]. وهكذا تساهم الهجرة في التغيير الاجتماعي باعتبارها ليس فقط حركة مجالية ولكن، كذلك، حركية اجتماعية على مستوى الطبقات الاجتماعية. وبهذا المعنى تكون الهجرة الدولية حمالة لمجموعة من الدلالات على مستوى السوسيولوجي حيث يتغير مفهومها بتغير الآليات التي تتحكم فيها.

-الهجرة النسائية:

تمثل عملية تنقل النساء من موقع إقامتهن السابق إلى مكان جديد بشكل فردي وبدون أن يكون لديهن ربط أساسي بالعائلة أو الزوج. يتسم هذا النوع من الهجرة بتحدي القيم والتوقعات الاجتماعية التقليدية

---

[15] - عطوف الكبير، الهجرات العالمية والمغربية: مقاربة سوسيو- تاريخية 1045-2011، م. ي ص 10

[16] - مجلة العلوم القانونية، قضايا الهجرة والمهاجرين على ضوء الاتفاقيات الدولية والنصوص الوطنية، العدد السادس 2017، مطبعة الأمنية، الرباط، ص 41

[17] -غربي محمد، فواكه سفيان، مشري مرسي،" الهجرة غير الشرعية في منطقة البحر الابيض المتوسط، المخاطر واستراتيجية المواجهة الطبعة الاولى، الجزائر، وهـران ،2014، ص 20،21)

للنساء في المجتمعات المحيطة، حيث يعكس تحركهن تطور دور المرأة واستقلاليتها في اتخاذ القرارات المتعلقة بمصيرهن الشخصي والمعيشي. تعتبر هذه الظاهرة تحولًا اجتماعيًا هامًا يبرز قدرة المرأة على تحقيق الاستقلالية وتحدي القيود التقليدية المفروضة عليها في المجتمعات المحافظة، وتعزز دورها كعنصر مؤثر ومتفوق في صنع القرار وتحديد مسار حياتها بشكل مستقل[18]. يمكن أن تكون الهجرة النسائية ناتجة عن عوامل اقتصادية، اجتماعية، سياسية أو غيرها من الأسباب. يمكن أن تتضمن الهجرة النسائية تنقل النساء للعمل، الدراسة، الزواج، اللجوء السياسي، العائلة، أو لأسباب أخرى.

تعتبر الهجرة النسائية ظاهرة عالمية، وقد تأثرت بالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية في العصر الحديث. وتعتبر النساء المهاجرات قوة عاملة هامة في بلدان الوجهة، حيث يمكن أن يسهمن في الاقتصاد والمجتمع بمهاراتهن وخبراتهن. ومع ذلك، قد تواجه النساء المهاجرات تحديات وصعوبات فريدة نتيجة للتمييز الجنساني والثقافي والاجتماعي. قد يكون لديهن صعوبة في الحصول على فرص العمل المناسبة، والوصول إلى الخدمات الصحية والتعليم، والاندماج في المجتمعات الجديدة. كما قد يكون للنساء المهاجرات تحديات خاصة فيما يتعلق بالعنف الأسري والاستغلال والاتجار بالبشر. وقد أصبحت الهجرة النسائية من دول البحر الأبيض المتوسط إلى أوروبا جزءا أساسيا من المشهد المتوسطي، وبعدا لا مفر منه للحياة الاقتصادية والاجتماعية التي تشهدها دول المنطقة، وتتجلى هذه الظاهرة في كبر التدفقات بين الجنوب والشمال، وأيضا في تأثير الهجرة على تحسين مستويات معيشة أسر المهاجرات، وعلى اقتصاد بلد المنشأ[19]. تتخذ النساء قرار الهجرة إلى الخارج بسبب مجموعة من العوامل "دافعة" في بلدانهن الأصلية، علاوة على هجرتهن كاستجابة للطلب العالمي على خدماتهن، ومن بين هذه العوامل الالتزامات للطلب العالمي على خدماتهن، الالتزامات الأسرية، البطالة، وتدني الأجور، والفقر، وقلة الفرص الاجتماعية والاقتصادية، والرغبة في فتح أفاق أوسع أمامهن[20].

تشكل النساء الآن حوالي نصف جميع المهاجرين الدوليين على نطاق العالم، البالغ عددهم 95 مليون، ومع ذلك، ورغم مساهماتهن في الحد من الفقر في اقتصاديات تبذل جهدا شاقا لكي تستثمر، بدأ المجتمع الدولي مؤخرا فقط يدرك أهمية ما يمكن أن تقدمه النساء المهاجرات، ولم يعترف واضعو السياسات إلا مؤخرا فقط بالتحديات والمخاطر الخاصة التي تواجهها المرأة وذلك عندما تغامر باقتحام أرض جديدة[21].

---

[18] -Massey, D. S, Arango, J., Hugo, G., Koulouri, A., Pellegrino, A., & Taylor, J. E. (1998). Worlds in Motion: Understanding International Migration at the End of the Millennium. Oxford University Press

[19] يوروميد للهجر 2، (2008-2011)"الهجرة النسائية بين دول البحر الأبيض المتوسط والاتحاد الأوروبي"، ص:144.

[20] صندوق الأمم المتحدة للسكان (UNFPA)، 2006، حالة سكان العالم "عبور الى الأمل النساء والهجرة الدولية"، ص:22.

[21] UNFPA ،مرجع سابق، ص:1

- **الهجرة النسائية بقلعة السراغنة:**

ظهرت أولى الهجرات النسائية المنظمة نحو أوربا بقلعة السراغنة خلال سنوات السبعينات، وتتميز على الخصوص باتجاهها نحو إيطاليا وإسبانيا وتتركز أغلبها ضمن الالتحاق بالزوج أو ما يسمى بالتجمع العائلي، إذ أن أغلب مهاجرات قلعة السراغنة سابقا هاجرن في إطار التجمع العائلي وأخريات لامتهان نشاط الفلاحة أو العمل في المطاعم والفنادق أو مساعدة اقربائهن الذكور (الأب أو الأخ أو الزوج ...) في التجارة غير المهيكلة.

وبالرغم من ذلك فإن الحداثة تبقى من أهم خصائص ظاهرة الهجرة النسائية بمنطقة قلعة السراغنة كونها حديثة العهد ، بالإضافة إلى خاصية أخرى أكثر أهمية تتعلق بالاتجاه وهي أن الهجرة الدولية النسائية بمنطقة قلعة السراغنة تتجه بشكل خاص في اتجاه دولتي إيطاليا وإسبانيا، إذ نلمس تمايزا واضحا في نسبة الهجرة الدولية عامة والنسائية بالتحديد إلى إسبانيا وإيطاليا بين المجالين الحضري والقروي من جهة، وبين بعض الدواوير داخل المجال القروي من جهة ثانية خاصة أننا نشهد ارتفاع كبير في نسبة المهاجرات عن طريق عقود العمل إلى كل من إيطاليا و إسبانيا اللواتي يهاجرن لها في إطار الهجرة الموسمية بموجب عقود لجني الفراولة.

وعموما، فهجرة المرأة من المغرب عامة ومن قلعة السراغنة على وجه التحديد، في اتجاه أوروبا وخاصة إيطاليا وإسبانيا تمثل ظاهرة اجتماعية شملت ولا تزال شرائح اجتماعية وعمرية متعددة ومختلفة من النساء المهاجرات منذ تواريخ مبكرة، وشهدت الظاهرة تطورات تاريخية ارتقت عبرها من مجرد حركة تقوم بها المرأة برفقة الرجل الذكر في البداية، إلى حركة فردية مستقلة ومنظمة قانونيا.

-التمثلات الاجتماعية:

التمثل هو تصور الشيء أو تخيله واستحضره في ذهنه والتمثل في قاموس le petit Robert هو العملية التي يستوعب فيها الذهن المعطيات الخارجية للواقع، وجعل موضوع غائب أو مفهوم ما محسوسا بفضل صورة، شكل، رمز، دلالة ما... حيث يضفي عليها مستويات شخصيته المختلفة، بعد ذلك تتجمع لدى الفرد صور من تلك المعطيات بشكل حصيلة هذا الاحتكاك، فتكون بالتالي تمثلا لها[22]. وتعتبر التمثلات من المفاهيم ذات الأهمية البالغة حيث كانت محور اهتمام أغلب الباحثين، على اعتبار أنها تتيح فرصة للتعرف على اتجاه الفرد وتصوراته نحو مختلف المواضيع المتداولة، خصوصا إذا تعلق الأمر بالمواضيع ذات الأهمية في حياة الفرد والتي على رأسها موضوع الهجرة الذي يعتبر هو الآخر ضرورة اجتماعية تخطر ببال

[22] - le petit Robert 1;1984, p 1676.

أي فرد من أفراد المجتمع. فالتمثلات هي تصورات حاضرة في ذهن الفرد أساسها ثقافته المستمدة من مجتمعه الأصلي وتتحول إلى شكل للتعبير عن طريق المعاني والرموز التي تنتج عن التفاعل الاجتماعي الذي هو انعكاس للهوية الفردية.

ويعد إميل دوركايم من الأوائل الذين استعملوا مفهوم التمثلات الاجتماعية، أو كما يسميها الجماعات"، وذلك حين تحدثه عن العصبية القبلية ورفضه لها، وضل دروكايم يعتبر الدين والمعتقدات واللغة، والعلم والأسطورة، تمثلات جمعية واجتماعية. فالتمثلات يمكن ان تتنوع بتنوع الوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه الفرد، وتختلف باختلاف المنشأ الاجتماعي للأفراد وانتماءاتهم الاجتماعية، مما جعل علماء النفس يخوضون في تدقيق هذا المفهوم، فالتمثل حسب جون بياجي هو مجموع التصورات الفكرية التي تتكون لدى الذات حول الموضوع من خلال تفاعلهما، فهذه التصورات هي بمثابة تأويلات تستند على عملية التلاؤم مع خصائص الموضوع.

يعرف موسكو فيشي التمثلات على أنها نسق من القيم والمفاهيم والممارسات المرتبطة بأوجه وأبعاد الوسط الاجتماعي، على اعتبار أنها تشكل أداة لتوجيه إدراكات الأفراد للبيئة الاجتماعية، فالفرد ينمي نشاطا معرفيا حينما يجد نفسه أمام وضع ما يسعى إلى فهمه واستيعابه وبالتالي إضفاء دلالة معينة على الواقع، وينتج عن هذا النشاط المعرفي إعادة ترتيب أفراد العناصر المكونة لهذا الواقع[23].

أما سوسيولوجيا فالتمثلات اقترنت بالمعطيات الاجتماعية وهي شكل من المعرفة المتطورة والموزعة اجتماعيا ولها هدف تطبيقي يساهم في بناء حقيقة موحدة لمجموعة اجتماعيا.

-التحولات القيمية:

يمكن القول، بناء على تراكم مجموعة من الدراسات والأبحاث التي اهتمت بدراسة ظاهرة التحولات باعتبارها متداخلة ومتشابكة جدا اختلط فيها العامل السياسي بالاقتصادي بالاجتماعي بالثقافي بالديمغرافي، وأن هذه التحولات في مجملها لا تسير على خطى ثابتة وواضحة يمكن التنبؤ علميا بمسارها واتجاهاتها في ضوء ما تراكم من دراسات وأبحاث، إذ لا تزال هناك أشياء كثيرة عصية على التناول العلمي. ومن هنا تستدعي الحاجة إلى مراكز البحث لدراسة التحولات والتغيرات الاجتماعية بالمغرب على غرار ما هو معمول به في الدول المتقدمة. ومهما يكن من أمر، فإن جل المعطيات المتوافرة إلى اليوم تؤكد أن التغير شمل مناحي متعددة من المجتمع المغربي، بعضها يمكن قياسه كميا، والبعض الآخر بشكل كيفي، في حين تبقى بعض هذه التحولات عصية على القياس والفهم معا.

[23] Moscovici " la psychanalyse son, images et son sont public" page 40 بالتصرف

تشير إلى مختلف التحولات والتغيرات التي تحدث في القيم والمعتقدات التي تحكم سلوك الأفراد والمجتمعات على مر الزمن، يمكن أن يكون التحول القيمي نتيجة للتطورات الاجتماعية والثقافية، والتقنية، والاقتصادية، والسياسية التي تؤثر على تفكير الناس وقيمهم. يتمثل التحول القيمي في تغيير المفاهيم والقيم المتعلقة بالموضوعات المختلفة مثل الأخلاق، والدين، والأسرة، والعمل، والبيئة، وغيرها. وهذا التغيير قد يكون تدريجيًا أو مفاجئًا وقد يؤثر على مجتمع بأكمله أو جماعات معينة داخل المجتمع. يعكس التحول القيمي تطور المجتمع وتغيراته، وقد يتطلب فهمه دراسة متعمقة للتأثيرات والعوامل التي تؤثر على تشكل القيم وتطورها[24].

- **معطيات ميدانية**

تبعا للمقاربة السوسيولوجية -الميدانية التي تبنيناها في صياغة هذا المقال. حيث قمنا بتحليل مجموعة من المعطيات الكمية من خلال الاشتغال على مجموعة من الأسئلة التي وجهت للنساء المهاجرات بمنطقة البحث، من أجل الوقوف على مدى تحول المرأة المهاجرة بقلعة السراغنة بفعل الهجرة الفردية والاستقلالية المادية التي حققتها من وضعية الفرد التابع، إلى وضعية الفاعل المستقل والمؤثر، من خلال مقاربتنا للظاهرة وتتبعها بشكل دقيق ومعمق. وعلاوة على ذلك، كان لابد من الوقوف على مجموعة من العوامل التي عجلت بظهور الهجرة الدولية بإقليم قلعة السراغنة الذكورية منها والنسائية. هذه العوامل التي نقدمها على الشكل التالي:

- الظروف الطبيعية والمجالية الصعبة لمنطقة قلعة السراغنة:

إن استقصاء المعطيات الطبيعية والبشرية لإقليم قلعة السراغنة يتيح رؤية شاملة حول واقع الهشاشة العميقة التي تطبع مختلف أوجه الحياة في المنطقة، وعلى وجه الخصوص الهشاشة المجالية. هذه الظاهرة تؤثر بعمق على الساكنة، وبالأخص النساء، مما يدفعهن إلى البحث عن مسارات بديلة لتحسين مستوى العيش، وكسر قيود التبعية والهيمنة الذكورية التي تفرضها السياقات الاجتماعية والاقتصادية السائدة. وعليه، فإن تحليل المعطيات الطبيعية للإقليم لا يُعدّ فقط ضرورة معرفية، بل هو أداة أساسية لتحديد مواطن الخلل والإكراهات الهيكلية التي تغذي ظواهر الهجرة، لا سيما نحو دول مثل إيطاليا وإسبانيا.

تكتسي دراسة العوامل الطبيعية أهمية استثنائية ضمن التحليل السوسيولوجي، إذ تعكس التفاعل الجدلي بين البيئة والسكان. وتشمل هذه العوامل الموقع الجغرافي، المناخ، ومدى تكامل هذه العناصر في تشكيل

[24] - Inglehart Ronald, Modernization and Post modernization: Cultural, Economic, And Political Change in 43 Societies. Princeton University press. (1997). p 1.

السياق الحياتي اليومي. فالإقليم يخضع لتأثير مناخ قاري شبه جاف يتميز بتناقض حاد بين فصلين: فصل صيفي حار جاف، تُسجَّل خلاله درجات حرارة تتجاوز 45 درجة مئوية تحت تأثير رياح الشركي، وفصل شتوي بارد ضعيف التساقطات بفعل القرب الجغرافي من مرتفعات الأطلس الكبير. أما الأمطار، فهي شحيحة للغاية، مما يعمق أزمة الموارد الطبيعية ويضعف الأنشطة الاقتصادية المحلية التي تعتمد على الزراعة والرعي.

في ظل هذه الظروف المناخية القاسية والموارد المحدودة، تصبح خيارات العيش الكريم محدودة، مما يدفع الساكنة عموماً، والنساء خصوصاً، إلى التفكير في حلول بديلة ذات أفق أوسع، مثل الهجرة الدولية. هذه الهجرة، التي تأخذ طابعاً ضرورياً أكثر من كونه اختيارياً، أضحت ملاذاً للنساء المبحوثات عن فرص لتحسين ظروفهن الاقتصادية والاجتماعية. من جهة أخرى، شكّلت القيود المفروضة على النشاط الاقتصادي المحلي عاملاً إضافياً يدفع نحو تصنيف الإقليم كمنطقة طاردة لساكنتها.

وعلى الرغم من الهيمنة التاريخية للهجرة الذكورية، فإن الهجرة النسائية باتت تكتسب زخماً متزايداً، حيث تلعب النساء دوراً فاعلاً في مواجهة التهميش عبر الانتقال إلى دول مثل إيطاليا وإسبانيا. ولا يقتصر هذا الحراك على تعزيز القدرات الاقتصادية للنساء فحسب، بل يُسهم أيضاً في إعادة تشكيل أدوارهن الاجتماعية، مما يخلق دينامية جديدة للتحرر الفردي والاجتماعي على حد سواء. بناءً على ذلك، فإن الوقوف عند طبيعة هذه العلاقة بين العوامل الطبيعية والاجتماعية يسهم في فهم أعمق لظاهرة الهجرة النسائية التي أصبحت سمة مميزة لإقليم قلعة السراغنة.

- النشاط المهني للمرأة المهاجرة قبل هجرتها إلى الخارج:

يعتبر النشاط المهني للمرأة قبل الهجرة إلى إيطاليا وإسبانيا، من المؤشرات الرئيسة التي ستبرز لنا مجموعة من الدوافع والأسباب التي جعلت المرأة تبلور فكرة الهجرة الدولية. وذلك لما تكتسيه أهمية النشاط المهني للمهاجرة قبل الهجرة، ومن خلال ذلك سنحاول الوقوف على مختلف الخصائص التي تهم عمل المرأة المهاجرة وأنشطتها الممارسة قبل هجرتها الى الخارج وذلك في علاقة بمستواها التعليمي وكذا وضعيتها العائلية.

جدول 1: النشاط المهني للمرأة قبل هجرتها حسب متغيري الوضعية العائلية والمستوى التعليمي

هل كنت تمارسين نشاط ما أو عمل ما قبل الهجرة؟	بدون	ابتدائي	اعدادي	ثانوي	تعليم جامعي	المجموع

نعم	عازبة	0	3	2	4	2	11
	متزوجة	1	4	2	3	3	13
	مطلقة	18	14	5	1	1	39
	أرملة	4	1	1	0	0	6
	المجموع	23	22	10	8	6	% 69
لا	عازبة	0	1	3	1	0	5
	متزوجة	0	2	14	2	0	18
	مطلقة	0	0	0	0	0	0
	أرملة	0	0	0	2	0	2
	المجموع	0	3	17	5	0	% 25
عدم الإجابة	عازبة	0	1	0	0	0	1
	متزوجة	1	1	0	0	0	2
	مطلقة	0	0	0	0	0	0
	أرملة	2	0	1	0	0	3
	المجموع	3	2	1	0	0	6
المجموع		%26	%27	%28	%13	%6	% 100

المصدر: العمل الميداني 2019 (الاستمارة)

وفقًا لمعطيات الجدول الوارد أعلاه، يتضح أن انخفاض المستوى التعليمي للمبحوثات يرتبط بزيادة نشاطهن العملي. فقد تبين أن الغالبية العظمى من المهاجرات العاملات هن من النساء المطلقات، بنسبة تبلغ 69%. ومن اللافت أن نسبة كبيرة من هؤلاء المطلقات أميات، أي لا يمتلكن أي مستوى تعليمي، حيث تصل النسبة إلى 18%. أما النساء ذوات المستوى التعليمي الابتدائي، فيمثلن 22% من العينة، مما يعكس بوضوح أن ضعف المستوى التعليمي يساهم في تعزيز مظاهر هشاشة متعددة، أبرزها الهشاشة المهنية، الاقتصادية، والاجتماعية. من جهة أخرى، تحتل النساء المتزوجات المرتبة الثانية بنسبة 13% من عينة المهاجرات اللواتي كن يمارسن أنشطة قبل هجرتهم إلى الخارج، تليهن العازبات بنسبة 11%. أما الأرامل، فقد شكلت نسبتهن 6%. هذا التحليل يظهر بوضوح العلاقة الوثيقة بين المستوى التعليمي والهشاشة بمختلف أشكالها.

ما تشير المعطيات الميدانية الواردة في الجدول أعلاه إلى أن 25% من المبحوثات المهاجرات لم تكن لهن أي مهنة أو نشاط قبل الهجرة إلى أوروبا، حيث تشكل المتزوجات النسبة الأكبر ضمن هذه الفئة بنسبة 18%، تليهن العازبات بنسبة 5%، ثم الأرامل بنسبة 2%. ومن اللافت أن 6% من أفراد العينة اختارت الامتناع عن الإجابة، مما يفتح مجالًا للتساؤل حول دلالات هذا الصمت.

نستنتج من هذه النتائج الدور المحوري للمستوى التعليمي في تحديد الحالة المهنية والعائلية للمرأة، سواء قبل الهجرة أو بعدها. فالمستوى التعليمي لا يعكس فقط القدرات الفردية، بل يُسهم في تشكيل الوعي الاجتماعي والاقتصادي للمهاجرات، مما يؤثر على مساراتهن المهنية والاجتماعية في بلدان الهجرة. ويُعد التعليم أحد العناصر الحاسمة في تمكين المرأة، لا سيما المرأة المهاجرة، إذ يمثل أداة أساسية للارتقاء الاجتماعي والاقتصادي. غير أن ظاهرة الانقطاع عن الدراسة، التي تعاني منها الفتيات في الأسر ذات الهشاشة المادية أو الاقتصادية، تبرز كعامل رئيسي يحد من فرص المرأة في تحقيق هذا التمكين. وتعكس هذه الأسر ضعفًا في امتلاك "الرأسمال" بمفهوم "بيير بورديو" سواء كان ماديًا، ثقافيًا، أو اجتماعيًا، وهو ما يُفاقم من مظاهر الهيمنة الذكورية التي غالبًا ما تُقصي الفتيات من الدراسة بدعوى إعدادهن المبكر للزواج والإنجاب.

وفقًا لمفهوم "إعادة الإنتاج" لدى بيير بورديو ايضا، يؤدي هذا المسار إلى زواج مبكر مقرون بخبرة ضعيفة، ما يسفر في كثير من الأحيان عن طلاق مبكر. ومن هنا، فإن انقطاع الفتيات عن التعليم، الذي ينجم أساسًا عن الظروف الأسرية والاقتصادية والاجتماعية، يصبح أحد المحركات التي تدفع النساء نحو الهجرة إلى أوروبا، لا سيما إلى دول مثل إيطاليا وإسبانيا.

- صعوبات البحث عن عمل قبل الهجرة:

مبيان رقم 1: نسبة مواجهة المهاجرات للعراقيل قبل الهجرة للبحث عن العمل

المصدر: العمل الميداني 2019 (الاستمارة)

تُبرز المعطيات الميدانية، كما هو موضح في المبيان أعلاه، أن 89% من النساء المهاجرات إلى أوروبا واجهن عراقيل جوهرية أثناء محاولتهن البحث عن عمل في المغرب. في المقابل، أشارت 11% فقط من النساء إلى عدم مواجهة أي عراقيل، وهو ما يُعزى إلى عدم خوضهن تجربة البحث عن العمل أصلاً.

هذا الامتناع يبدو نتيجة قناعة راسخة لدى هذه الفئة بأن سوق العمل في بلدهن الأصل إما لا يوفر فرصاً حقيقية أو أن الفرص المتاحة تُوصم بالاستغلال المادي والمعنوي، ما يدفعهن لعدم المحاولة.

فيد البيانات بأن النساء اللواتي اصطدمن بعراقيل في سوق العمل كنّ في الغالب يعملن ضمن الأنشطة الموسمية، وخاصة في القطاع الفلاحي، حيث تركزت أعمالهن خلال مواسم مثل موسم جني الزيتون. وقد واجهن ظروف عمل قاسية، منها الاضطرار لبدء العمل في ساعات الفجر المبكرة، في ظل مناخ قاسٍ وتحديات متعددة تشمل صعوبة التنقل وسوء المعاملة من قبل بعض أرباب العمل. وتتجلى هذه المعاملة في أشكال من الخطابات والسلوكيات التي تتسم بانتهاك الكرامة الإنسانية.

من هذه المعطيات، يتضح أن هذه العراقيل الاقتصادية كانت عاملاً رئيسيًا في تكريس ظاهرة الانقطاع عن الدراسة، مما أدى بدوره إلى تعزيز ما يمكن تسميته ب "العراقيل الثقافية (les obstacles culturels)، والتي تمثل امتداداً للظروف الاجتماعية والاقتصادية التي تثقل كاهل الطبقات الفقيرة. مما يساهم في تعزيز هذه العراقيل ويؤدي إلى تكريس الهشاشة بأشكالها المختلفة: الاقتصادية والاجتماعية والمجالية.

وعند تشخيص الوضعية الاقتصادية والبيئية لإقليم قلعة السراغنة، تتضح صورة معقدة للهشاشة متعددة الأبعاد. ضعف الأنشطة الاقتصادية في الإقليم يعيق تحقيق التنمية المحلية ويحد من القدرة على خلق فرص عمل قادرة على تحسين مستويات المعيشة. إضافةً إلى ذلك، يعاني القطاع الصناعي من تحديات كبرى، مثل ضعف التسويق وشدة المنافسة، مما يعمق من أزمة التشغيل. يزداد هذا الوضع تأزماً بفعل العوامل الطبيعية القاسية، حيث يسود مناخ حار صيفاً وقارس البرودة شتاءً، ما يُسهم في تضييق الخيارات الاقتصادية للساكنة، لا سيما النساء، اللواتي يجدن أنفسهن في حالة بحث مستمر عن بدائل لتحسين أوضاعهن المعيشية، أبرزها الهجرة الي الخارج.

الهجرة النسائية من إقليم قلعة السراغنة إذًا ليست مجرد خيار فردي، بل تمثل استجابة معقدة لجملة من الضغوط الهيكلية. فالوضعية الطبيعية والمجالية للإقليم تشكل بيئة طاردة، في حين يعمق المستوى التعليمي المحدود من هشاشة النساء أمام هذه التحديات. تُضاف إلى ذلك الضغوط الاقتصادية والاجتماعية التي تُفضي إلى بناء وعي نسائي يرى في الهجرة خيارًا حتميًا للتغلب على واقع مأزوم، وبذلك تتحول الهجرة إلى أفق بديل يعيد تشكيل طموحات النساء في هذا السياق المهمش.

- الهجرة النسائية ونتائجها على المستوى الفردي:

مبيان رقم 2: مساهمة الهجرة الدولية في تغيير وضع المرأة المادي والرمزي بعد الهجرة

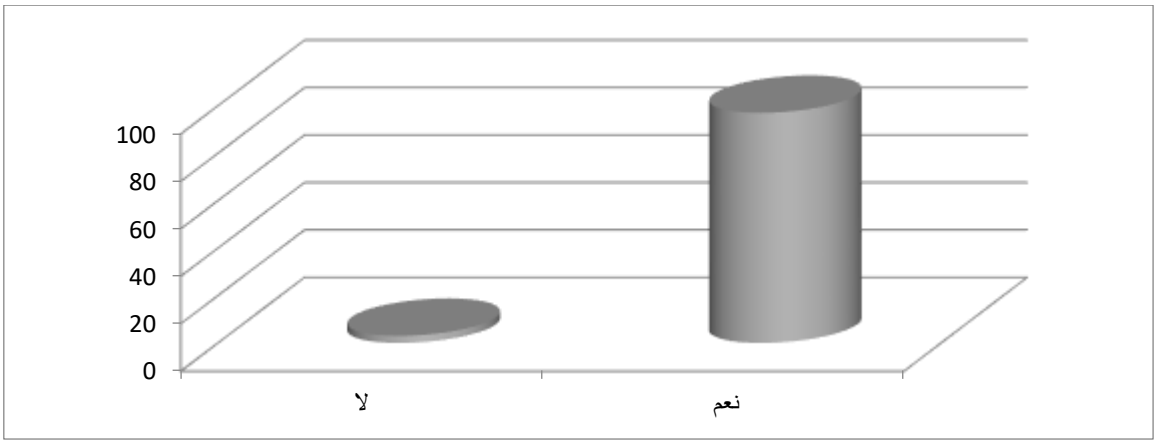

المصدر: العمل الميداني 2019 (الاستمارة)

تكشف المعطيات الميدانية الواردة في المبيان أعلاه أن أكثر من 90% من النساء المهاجرات الدوليات بإقليم قلعة السراغنة يؤكدن على الدور الحاسم للهجرة الدولية في إحداث تحول إيجابي على أوضاعهن الفردية بعد الهجرة، مقابل أقل من 10% أفدن بعدم ملاحظة هذا التحول. يمكن تفسير هذا الاختلاف بأن الهجرة الدولية استطاعت تلبية احتياجات ملحّة شكلت في السابق عوائق بنيوية أمام تحقيق الذات والارتقاء الاجتماعي للمرأة.

وتعكس هذه النتائج مكانة المرأة كفاعل اجتماعي واعٍ وقادر على إحداث تغيير جذري في وضعها الفردي عبر تبني خيار الهجرة المستقلة نحو دول مثل إسبانيا وإيطاليا. لقد مكّنت هذه التجربة النساء من تحسين أوضاعهن الاقتصادية والاجتماعية من خلال الاندماج في سوق العمل في بلدان المهجر، وهو ما يعكس قدرة الهجرة على تجاوز القيود الاجتماعية المفروضة عليهن في السياق المحلي.

تشير الشهادات الميدانية إلى أن النساء قبل الهجرة كن يعانين من جملة من المعيقات الهيكلية، سواء في الحياة اليومية داخل الأسرة أو في الفضاءات العامة، حيث سادت مظاهر غياب الحقوق الأساسية وتكريس النظرة الدونية للمرأة. ومع تجربة الهجرة، طرأ تحول نوعي على حياتهن، تجلّى في تعزيز الاستقلالية الذاتية والشعور بالأمان النفسي والاجتماعي.

إن هذه النتائج تسلط الضوء على الهجرة باعتبارها ليست فقط حركة جغرافية، بل عملية اجتماعية متعددة الأبعاد تعيد تشكيل أدوار المرأة وهويتها في سياقات جديدة. كما تعكس قدرة الهجرة على تحرير المرأة من قيود البنى التقليدية المحلية وتمكينها من بناء واقع فردي أكثر استقلالية وكرامة.

مبيان رقم 3: نسبة مساهمة المرأة المهاجرة في تغيير نمط عيش عائلتها

المصدر: العمل الميداني 2019 (الاستمارة)

تظهر المعطيات الميدانية، كما يعكسها المبيان أعلاه، أن 97% من النساء المبحوثات صرّحن بقدرتهن على تحسين أنماط عيش أسرهن بعد الهجرة إلى أوروبا، خصوصًا إلى إسبانيا وايطاليا. ويعزى هذا التحول إلى انخراطهن في الموجات الحديثة للهجرة الدولية، لا سيما تلك المرتبطة بعقود العمل. ومن أبرز هذه العقود اتفاقيات الشراكة التي تستهدف تشغيل النساء في جني الفواكه الحمراء، خاصة التوت. في المقابل، أفادت 3% فقط من النساء بأن الهجرة لم تُحدث تغييرًا ملموسًا في مستوى معيشة أسرهن.

تكشف هذه النتائج عن أن الهجرة النسائية ليست مجرد وسيلة لتحسين الأوضاع الفردية للنساء فحسب، بل تتجاوز ذلك لتصبح استراتيجية فعالة للنهوض بأوضاع عائلاتهن أيضًا. فالمرأة المهاجرة ترى في الهجرة مشروعًا حيويًا يفتح لها آفاقًا جديدة لتحقيق مكاسب مادية ومعنوية، مما يتيح لها تعزيز مكانتها الاجتماعية، دعم أسرتها ماليًا، وتأسيس حياة أسرية أكثر استقرارًا.

أظهرت البيانات أيضًا أن الهجرة النسائية تسهم في معالجة تحديات بنيوية مثل البطالة والفقر والهشاشة الاقتصادية من خلال الاستثمار في مشاريع فردية مستقلة. وتبرز هذه الإيجابيات الدور التحويلي للهجرة في تمكين المرأة كفاعل اجتماعي واقتصادي قادر على تجاوز القيود الهيكلية المفروضة عليها في بيئتها الأصلية.

إن هذه الديناميات تعكس بوضوح كيف يمكن للهجرة أن تتحول إلى عملية اجتماعية مركبة تعيد صياغة أدوار المرأة وهويتها، ليس فقط كفرد يسعى لتحقيق الذات، ولكن أيضًا كرافعة للتغيير الاقتصادي والاجتماعي على المستويين الأسري والمجتمعي.

. الهجرة النسائية الدولية وعائداتها

تُظهر الهجرة الدولية، مقارنةً بالهجرة الداخلية التي تسهم في توسع المدن داخل الوطن، قدرتها التحويلية على إعادة تشكيل ملامح الهشاشة الاجتماعية والاقتصادية، خاصة بالنسبة للنساء المهاجرات. فقد أتاحت العائدات المترتبة عن الهجرة الدولية فرصًا حقيقية لتحسين أوضاعهن الاقتصادية والاجتماعية عبر توظيف تلك العائدات في مشاريع استثمارية، أبرزها الاستثمار في العقارات، مثل اقتناء

منازل أو أراضٍ، التي تُعدّ وفقًا للمستجوبات رمزًا للأمان الاقتصادي ووسيلة استراتيجية للادخار وتأمين المستقبل.

إن هذا السلوك الاقتصادي يعكس ديناميكيات جديدة داخل المجتمعات المحلية، حيث تنظر النساء المهاجرات إلى العقار ليس فقط كأداة لتجاوز الهشاشة المادية، بل أيضًا كوسيلة لتعزيز رأس المال الاجتماعي وتأكيد حضورهن كفاعلات اقتصاديات. ويُبرز هذا التوجه وعيًا متقدمًا بأهمية استثمار العائدات في أصول مستدامة تضمن الاستقرار المعيشي وتؤسس لفرص أفضل للأجيال المقبلة.

من منظور سوسيولوجي، تعكس هذه الدينامية دور الهجرة الدولية في تمكين المرأة اقتصاديًا واجتماعيًا، حيث لم تعد المرأة المهاجرة مجرد عنصر تابع في سياق الهجرة، بل أصبحت فاعلًا مركزيًا يسهم في إعادة صياغة أدوارها داخل الأسرة والمجتمع. الهجرة، إذن، ليست مجرد حركة انتقالية عبر الحدود، بل تمثل عملية اجتماعية عميقة التأثير تمكّن النساء من تحدي البنى التقليدية، وتحقيق استقلاليتهن الاقتصادية، وكسر حلقة الفقر والهشاشة التي كانت تعيق تطورهن.

وتبرز هذه النتائج أهمية الهجرة الدولية كمسار تحرري متعدد الأبعاد للنساء المهاجرات، حيث تُعيد تعريف علاقتهن بالمجال الاجتماعي والاقتصادي، وتعزز من مساهمتهن الفاعلة في بناء واقع أكثر توازنًا واستدامة لهن ولأسرهن.

مبيان 4: امتلاك المرأة المهاجرة لمشروع ما بعد الهجرة

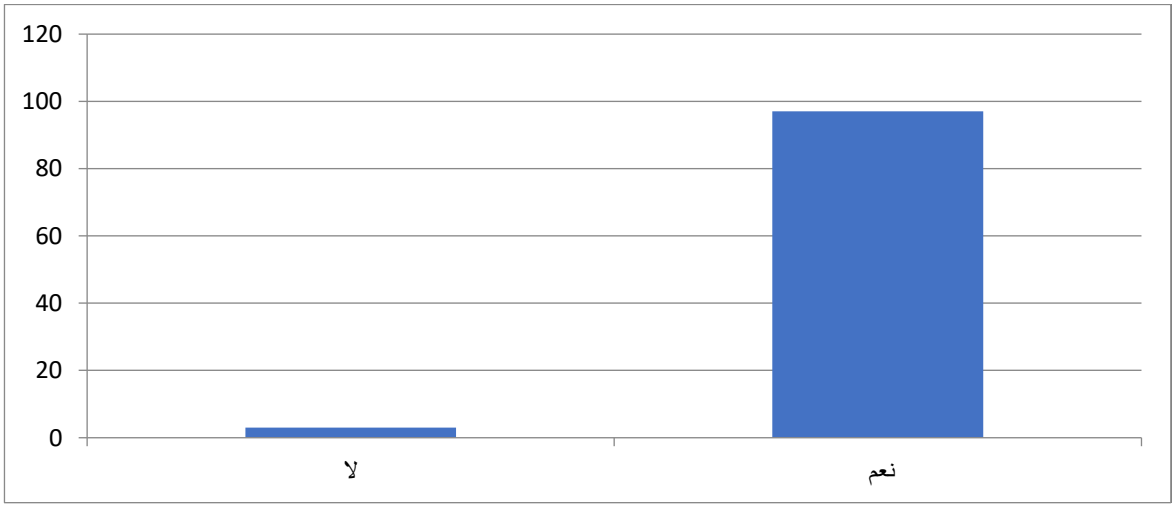

المصدر: العمل الميداني 2019 (الاستمارة)

تعكس المعطيات المستخلصة من المبيان أعلاه أن 98% من النساء المهاجرات المشاركات في الدراسة أكدن توظيفهن لعائدات الهجرة في تمويل مشاريع اقتصادية متنوعة، حيث تختلف هذه المشاريع حسب احتياجات المهاجرات وظروفهن الخاصة. هذا التنوع يعكس القدرة على التكيف والابتكار لدى النساء

المهاجرات، اللاتي استثمرن في مشاريع تحقق لهن تحسينًا في مستوى معيشتهم، سواء كانت مشاريع فردية أو من خلال التحويلات المالية التي يتم إرسالها إلى أفراد الأسرة مثل الآباء أو الأشقاء. في المقابل، أفادت نسبة 2% فقط من المهاجرات بأنهن لم يتمكنّ من إنجاز أي مشروع باستخدام عائدات الهجرة، مما يعكس مجموعة من العوامل التي قد تكون تحد من هذه الإمكانية.

في هذا السياق، أصبحت عائدات الهجرة الدولية بمثابة آلية رئيسية لمحاربة الهشاشة الاقتصادية في الإقليم، أو على الأقل لتقليص آثارها، من خلال تمويل مشاريع تساهم في تحسين أوضاع النساء اقتصاديًا واجتماعيًا.

من خلال تحليل هذه المعطيات، يتضح أن الهجرة الدولية باتت تشكل أداة رئيسية لتمكين النساء اقتصاديًا، مما يساعدهن على تجاوز العديد من العراقيل الهيكلية والاقتصادية التي تواجههن في بلدانهن الأصلية. إذ قامت غالبية المهاجرات في إقليم قلعة السراغنة باستخدام عائدات الهجرة لتمويل مشاريع تنموية، مما يساهم في تقليص حدة الهشاشة الاقتصادية والاجتماعية. ومن الملاحظ أن هذه التحويلات المالية لم تقتصر على التحسين المباشر للأوضاع الاقتصادية للنساء فحسب، بل أصبحت آلية استراتيجية لتطوير رأس المال الاجتماعي داخل الأسرة والمجتمع المحلي.

بناءً على هذه المعطيات، يمكن استنتاج أن الهجرة الدولية تُعد إحدى الآليات الفعالة لتحويل الأموال بين الدول، حيث تمثل النساء المهاجرات، إلى جانب المهاجرين الرجال، مصدرًا أساسيًا لرؤوس الأموال في بلدانهن الأصلية. هذا الواقع يلقى اهتمامًا متزايدًا من قبل صانعي السياسات الاقتصادية على مستوى العالم، نظرًا للنمو الكبير في تدفقات التحويلات المالية بين الدول المتقدمة والدول النامية. ففي هذا السياق، يشير البنك الدولي إلى أن التحويلات المالية للمغاربة قد تضاعفت بشكل ملحوظ بين عامي 1970 و2001، حيث ارتفعت من 316.8 مليون درهم إلى 36,867.7 مليون درهم، بينما شهدت التحويلات بين 1968 و2003 زيادة أكبر تجاوزت 174 ضعفًا، حيث انتقلت من 200 مليون درهم إلى 34,733.8 مليون درهم.

من جهة أخرى، أشار مدير أحد البنوك في إقليم قلعة السراغنة، في مقابلة معه، إلى أن السمة المميزة لتحويلات المهاجرات الدوليات في المنطقة هي توجيه هذه الأموال نحو الادخار، ما يعكس وعيًا متزايدًا بالاستثمار طويل الأجل وإدارة الأموال بشكل يُسهم في تعزيز الاستقرار المالي للأسرة. لذلك، يمكن القول إن الهجرة الدولية لا تقتصر على كونها وسيلة للانتقال المكاني، بل إنها تشكل أداة لتحسين الهشاشة المادية، وهي أحد أخطر أشكال الهشاشة التي تواجه النساء. فهذه التحويلات تساهم في تقليل الفقر والهشاشة

الاقتصادية عبر تدفقات مالية منتظمة تُستخدم في تلبية احتياجات الاستهلاك اليومي ومتطلبات المناسبات الاجتماعية، مما يعزز الاستقلالية الاقتصادية ويُساهم في تحسين مستوى حياة الأسر المهاجرة.

- **خاتمة:**

بالنظر إلى المعطيات المتاحة، يتبين أن هناك جملة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية التي ساهمت في دفع المرأة السرغينية نحو الهجرة الدولية، وبالأخص إلى إيطاليا وإسبانيا، حيث أدت هذه الهجرة إلى تحولات عميقة في مسار حياتها خلال السنوات الأخيرة. هذه التحولات لا تقتصر على تغيير نمط الحياة، بل تمثل نقلة نوعية على مستوى الهوية الشخصية والاجتماعية، حيث أصبحت الهجرة آلية فعالة لمكافحة الهشاشة والتمييز الاجتماعي اللذين كانا يثقلان كاهلها في بلدها الأصلي.

الهجرة، كما تظهر المعطيات، لم تكن مجرد فرصة لتحسين الوضع المادي، بل شكلت إطارًا لإعادة بناء الذات، حيث استطاعت النساء المهاجرات تحقيق الأمن الاقتصادي والاجتماعي عبر استثمار عائدات الهجرة في مشاريع فردية ساعدت في تحسين وضعهن الاجتماعي وتعزيز استقلالهن المالي. هذا التحول يعكس قدرة المرأة على خلق ديناميكيات اقتصادية جديدة، تمكّنها من تأمين احتياجاتها واحتياجات أسرها، وبالتالي تسهم في تحفيز النمو المحلي على مستوى أوسع.

ما يثير الاهتمام هو أن الهجرة النسائية لم تعد تقتصر على المشاركة الهامشية أو التقليدية في حركة الهجرة، بل أصبحت تشهد تنوعًا في الأشكال والأنماط التي تأخذها. فعلى الرغم من الهيمنة التاريخية للهجرة الذكورية، فإن الهجرة النسائية قد شهدت تحولات ملحوظة مع نهاية القرن العشرين وبداية الألفية الثالثة. ففي بدايات هذه الظاهرة، كانت النساء يهاجرن في إطار التجمع العائلي للالتحاق بالأزواج، حيث كانت الهجرة مقيدة بقيود اجتماعية وثقافية، لا تسمح للمرأة بالهجرة بشكل مستقل. ومع مرور الزمن، بدأت النساء يتخذن من الهجرة خيارًا فرديًا ومستقلًا، فظهرت نماذج جديدة مثل الهجرة الموسمية المنظمة للعمل في الزراعة (مثل جني التوت أو الفريز في إسبانيا) أو الهجرة للعمل في القطاعات الخدمية كالمطاعم والفنادق.

ورغم الزيادة المستمرة في أعداد النساء المهاجرات وتنوع مساراتهن، فإن هذه الظاهرة ما تزال بحاجة إلى دراسات سوسيولوجية متعمقة لفهم تأثيراتها على المهاجرات أنفسهن، وكذلك على المجتمعات المحلية في البلدان الأصلية. فالهجرة النسائية، بما تحمله من تحولات ثقافية واجتماعية، تعتبر موضوعًا غنيًا يستحق السبر العميق لفهم الأبعاد المختلفة لهذه الظاهرة، ومدى تأثيرها في إعادة تشكيل العلاقات الأسرية

والاجتماعية والاقتصادية، وكذلك التأثيرات التي تترتب عليها من حيث إعادة النظر في أدوار المرأة في المجتمع وتحقيق استقلالها المادي والاجتماعي.

المراجع المعتمدة:

المراجع باللغة العربية:

- المالكي عبد الرحمان ، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة ، الدار البيضاء ، افريقيا ، الشرق، المغرب، 2016 ، ص 112

- الموسوعة العربية العالمية، مجلد 26، مؤسسة الموسوعة، الطبعة الأولى، الرياض، .

- أنتوني غيدنز، مقدمة نقدية في علم الاجتماع (القاهرة : مركز البحوث والدراسات الاجتماعية كلية الآداب، الطبعة الثانية2009).

- بورقية رحمة ، الدولة والسلطة والمجتمع دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب (بيروت: دار الطليعة، الطبعة الأولى 1991.

- خلف التميمي عبد المالك ، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي – دراسة تاريخية مقارنة، الكويت، عالم المعرفة،1983.

- غربي محمد، فواكه سفيان، مشري مرسي،" الهجرة غير الشرعية في منطقة البحر الابيض المتوسط، المخاطر واستراتيجية المواجهة الطبعة الاولى، الجزائر، وهـران ،2014.

- فيل جون لوي، الهجرة النسائية بين دول البحر المتوسط والاتحاد الأوربي، يوروميد للهجرة 2، 2008-2012.

-ابن منظور أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، المجلد الثالث، بيروت، الطبعة الأولى ،1976 .

-ارنست فولف ، صندوق النقد الدولي: قوة عظمى في الساحة العالمية ترجمة عدنان عباس علي ،سلسلة عالم المعرفة 435

-اعبيد محمد والزنتاني إبراهيم، "الهجرة غير الشرعية والمشكلات الاجتماعية "، جامعة سبها الناشر المكتب العربي جامعة الإسكندرية سنة ، 2008 .

البنك الدولي تقرير تحت عنوان: الهجرة والتحويلات الدولية على الموقع الإلكتروني http://web.worlbank.org

-المرنيسي فاطمة، أحلام النساء الحريم حكايات طفولة في الحريم (دمشق: ورد للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى 1997.

-المعجم العربي لاروس، الطبعة الأولى، مكتبة أنطوان، بيروت، 1987 .

-صندوق الأمم المتحدة للسكان (UNFPA)، 2006، حالة سكان العالم "عبور الى الأمل النساء والهجرة الدولية".

-عطوف الكبير ، الهجرات العالمية والمغربية: مقاربة سوسيو.تاريخية 1045-2011، م .ي .

-غربي محمد، فواكه سفيان، مشري مرسي،" الهجرة غير الشرعية في منطقة البحر الابيض المتوسط، المخاطر واستراتيجية المواجهة الطبعة الاولى، الجزائر، وهـران ،2014.
-قاموس صليبة الفلسفي، الجزء الثاني.
-مجلة العلوم القانونية، قضايا الهجرة والمهاجرين على ضوء الاتفاقيات الدولية والنصوص الوطنية، العدد السادس 2017، مطبعة الأمنية، الرباط.
-مجموعة من الباحثين: تحرير محمد غربي، سفيان فواكه، مشري مرسي، الهجرة غير الشرعية في منطقة البحر الابيض المتوسط، المخاطر واستراتيجية المواجهة، 2014.
-مجموعة مؤلفين شكيرب آسيا: "الهجرة العائدة للشباب العرب إشكاليات الواقع وسياسة الإدماج " ، لماذا يهاجر الشباب العربي؟ بحوث في اشكاليات الهجرة والمستقبل (الدوحة / بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ،2019).
-يوروميد للهجر 2، (2008-2011)"الهجرة النسائية بين دول البحر الأبيض المتوسط والاتحاد الأوروبي".
- المجلس الإقليمي لقلعة السراغنة 2021.
.مونوغرافيا عمالة قلعة السراغنة ،2018.

المراجع باللغة الفرنسية:

-Ait mous fadma ; benbelli sana; bousbaa Amal ; Cheikh mériam ;khalil jamal ;Houssam touria ;Rachik hassan, zouhairi abdallah ,Migration Féminine A Casablanca ;entre autonomie et précarité, édition La Croisée des Chemins ,Casablanca, Maroc 2020 .

-Andrea Réa, Sociologie de l'immigration, La découverte, Paris, 2003, 2008, 2021.

-Arab Chadia, la circulation migratoire : une notion pour penser les migrations internationales, e- Migrinter n° 1 ;2008.

-Bouammali Noureddine, FAMILLES DES ÉMIGRÉS RESTÉES À OUJDA, Centre d'Information et d'Etudes sur les Migrations Internationales « Migrations Société » CAIRN.INFO, Belin2009/1 N° 121.

-Bourdieu Pierre et Passeron jean- Claude, *Les héritiers les étudiants el la culture*, Les éditions de minuit.

-Catarino Christine et Morokvasic Mirjana. "Femmes, genre, migration et mobilités". Revue Européenne des Migrations Internationales, Volume 21, (2005) Numéro 1 , Accessible en ligne à l'URL : http://remi.revues.org/document2534.html

-Cheikh Mériam et Michel Péraldi; Des femmes sur les routes ; voyages au féminin entre Afrique et Méditerranée ; édition le Fennec, Casablanca, Maroc 2009.

-Danielle Ruquoy. Situation d'entretien et stratégie de l'interviewer (pratiques et méthodes de recherche en sciences sociales). Paris. Armand colin1995.
-dewite Philippe ; immigration et intégration l'état des savoirs, éditions la découverte ; textes a l'appui /série l'état des savoirs ; paris 1999.
-Dictionnaire Hachette Encyclopédie, 2004, Hachette -
-Émile Durkheim. Les règles de la méthode sociologique. Quadrige 2013.
-Inglehart Ronald, Modernization and Post modernization: Cultural, Economic, And Political Change in 43 Societies. Princeton University press. (1997).
-Janine Dahinden, Magdalena Rosende, Natalie Benelli, Magaly Hanselmann, Karine Lempen, MIGRATIONS : GENRE ET FRONTIÈRES — FRONTIÈRES DE GENRE. *CAIRN.INFO*. Belin. 2007/1 Vol. 26 | pages 4 à 14.
-le petit Robert 1;1984,
-Massey, D. S, Arango, J., Hugo, G., Kouaouci, A., Pellegrino, A., & Taylor, J. E. (1998). Worlds in Motion: Understanding International Migration at the End of the Millennium. Oxford University Press
-Moscovici " la psychanalyse son, images et son sont public"
-Nations Unies, Division de la population, département des affaires Economique et Sociales (DAES) , international Migration Reppert 2017 (] s I.[:2017) ,p .iii, consulté le 05-05-2022
-Pascale Boniface, atlas des relations internationales, hâtier, Paris , 2005 ,
-Paugam serge ; Le salarié de la précarité -les nouvelles formes de l'intégration professionnelle, France, Paris, 2009.
-Van Hear, N. *New Diasporas*, UCL Press, London. 1998. Cited in Turton, D. "Conceptualizing Forced Migration". *RSC Working Paper No. 12*. Queen Elizabeth House. University of Oxford, 2003.